

## التجني على أحمد أمين

للأستاذ نديم الجسر

—

لقد استوقف نظري في العدد ٣١٦ من الرسالة الفراء عنوان الكلمة التي كتبها الأستاذ العلامة الدكتور زكي مبارك عن الأستاذ العلامة أحمد أمين، فحسبت أن قول الدكتور في العنوان (جناية أحمد أمين على الأدب العربي) يطوى وراءه معنى غير المعنى الصحيح؛ لأن الأستاذ أحمد أمين، إن لم يستأهل أن يسمى أديباً بكل ما في الكلمة من معان، فهو، بلاريب، من أعظم العلماء الذين خدموا العلم والفلسفة والأدب العربي بدراسات لا مثيل لها في لغة العرب؛ فأسدى بذلك إلى كل أديب ومتأدب عربي لايحسن الاستقاء من معين الفريجة خدمة لم يسبقه إليها سابق بمثل الطريقة التي سلكها. فكيف يكون من هذا شأنه في خدمة العلم والفلسفة والأدب جانباً على الأدب جناية يستحق عليها التشهير بين الناس؟ لو قرأت هذا العنوان في جريدة سياسية أو كانت الكلمة لنير الدكتور زكي مبارك ما حملت نفسى عناء مطالعتها، لأنني كنت أذهب إلى أنها كلمة عدو أو حسود أو جاهل؛ ولكن المجلة مجلة (الرسالة) وما أدراك ما الرسالة، والكاتب هو الدكتور زكي مبارك فاذا أقول؟

إن الدكتور زكي مبارك هو أحق الناس بمرقان فضل أحمد أمين، وإن الدكتور زكي مبارك لأولى الناس بالدفاع عن أحمد أمين لو حاول هدمه شخص آخر. هكذا رأيتاه قد فعل عند ما غضب لكرامة الأدياء في مصر يوم حاول النييل منهم ناشئة الأدب في لبنان.

قد لا تكون كلمة الدكتور في حقيقة أمرها تطوى الشيء الكثير من الظلم لأحمد أمين، ولكن الظلم والقسوة بيدوان في العنوان؛ وطالما كانت ضخامة النارين أشد أثراً في تحويل أفكار المتأدبين الناشئين وتضليلها مما وراء المناوين. فهل يرضي الدكتور مبارك أن يستقر في أذهان هؤلاء أن أحمد أمين من الجناة على الأدب العربي؟

لا ريب في أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن موقفاً في المقالات التي كتبها في (الثقافة) مؤخراً. لا أقول هذا مجازاة للدكتور مبارك بل هوشية لاحظته منذ شهرين، وقلته لبعض عشاق أحمد أمين، وأنا منهم. فسكل من قرأ مقالته التي كتبها بعنوان (جناية

الأدب الجاهلي على الأدب العربي) أدرك أن العلامة الكبير لم يأت بشيء في هذا المضمار: لأن التأثر بالأدب القديم ليس مما يستطيع الأديب التغلث منه كما يتفثت من اللفظة الوحشية عند صوغ الكلام؛ بل هذا التأثر نتيجة لازمة للمناصر التي تتكون منها نفسية الأديب بحكم الوراثة والتقاليد والذوق والثقافة. وظهر القليل منه في أدب اليوم برهان على أننا نجاري طبيعة التطور بالتدرج.

ونظن أن أستاذنا الكبير أحمد أمين الذي يحدثننا في (ضحى الإسلام) بحديث دونه السحر عن تطور العقلية العربية في مضمار العلم والأدب، لا ينكر أن أثر الأدب الجاهلي قد ضعف في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية، وكاد يتلاشى في شعر شوقي وحافظ. وهكذا سوف يسير الأسلوب الأدبي مع الزمن ويستقي من تطوراته عناصر جديدة تحمل محل القديمة حتى لا يبقى من القديمة إلا ما يتخذ أمثلة لدراسة تاريخ الأدب.

وبعد فأى بأس في بقاء ذلك الأثر الضعيف من الأدب الجاهلي؟ ألسنا نجد لذة وطرباً ونشوة في هذه الصلة الحلوة بين القديم والحديث؟

ثم أليس من جملة أعمال الأدب أن يحفظ شخصية الأمة يربط حاضرها بماضيها، وتوجيه عواطفها نحو قبلة واحدة يجتمع عندها أحزان تلك الأمة وأفراحها ومفاخرها وتقاليدها وأساطيرها؟

وهل يجوز لنا أن نترك كل ذلك الماضي ونسجد منه كما نتجرد من الثوب الخلق لنكون لأنفسنا أديباً جديداً تزق في السيارة بدلاً من حذاء الحادي، وتهب فيه نسبات الخرطوم أو ماطلة بدلاً من صابج؟

إن هذا سوف يكون مع الزمن كما حصل حتى اليوم؛ وأما التخلى دفعة واحدة عن أذواق وعواطف داخلية نوتها الأجيال فينا فهو عمل يتم بقوة الجيش إذا شاءت الحكومة، ولكنه عندئذ لا يسمى أديباً تخاطب به الأرواح، بل يسمى (أوامر عسكرية) تنفذ بقوة السلاح...

وبعد فإنك إذا أردت أن تجد في كلمة الدكتور زكي مبارك شيئاً من الإنصاف فاطلبه في قوله في صدر مقاله الأول:

«إن الأستاذ أحمد أمين من كبار الباحثين في العصر الحديث ولكنه على أدبه وفضله لا يجيد إلا حين يصطحب الروية ويهليل